

واقع اللغة العربية في الجزائر في ضوء صراع التعددية اللغوية

Arabic language in Algeria fact amid the linguistic diversity conflict

* مبروك بركات

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر
(ورقلة - الجزائر)

Mebrouk barkat

center for scientific and technical
research on arabic language
development
linguistic research unit and arabic
language issues in algeria (ouargla – algeria)
yasirbm2013@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/03/15	تاريخ القبول: 2023/03/03	تاريخ استلام المقال: 2023/02/13
-------------------------	--------------------------	---------------------------------

ملخص

يتناول هذا البحث مسألة التعددية اللغوية في الجزائر التي تتجلى في استعمال اللغة العربية الفصحى وعامياتها والأمازيغية واللغة الفرنسية أيضا، ليركز على الصراع الحاصل بين اللغة العربية الفصحى والفرنسية بصورة بارزة، وبين الفصحى وعامياتها والأمازيغية بصورة فرعية أيضا .
وُذيل بخاتمة لخصت أبرز النتائج .
الكلمات المفاتيح: تعددية؛ لغوية؛ صراع؛ عربية؛ فرنسية؛ أمازيغية؛ عامية .

Abstract

This research is dealing with the linguistic diversity conflict in Algeria which is manifested in using Academic Arabic , its dialects, Amazigh and French as well. focusing , in a prominent way, on current conflict between Academic Arabic and French , and in secondary way thrashing the conflict between Academic Arabic ,its dialects and Amazigh as well.

To end with a conclusion summarizing the most important results.

Keywords: Foundations; diversity ;linguistic;conflict; Arabic ; French; Amazigh ; dialects

1 . مقدمة

إن اللغة مكون أساسي من مكونات الدول والمجتمعات، إذ تعبر عن الوسيلة التي بها يتواصلون ويعبرون عن حاجاتهم، كما تحمل المخزونات الثقافية والقيم الجماعية، والرؤى الإيديولوجية أيضا، وهي بكل تلك الصفات وغيرها تدل على الانتماء اللساني للدولة في سياساتها وتخطيطها اللغويين . احتلت اللغة العربية مكانة كبيرة عبر العصور وتحولات النظم السياسية من القدم إلى يومنا، مستفيدة من ارتباطها بالقيم الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، على الرغم من أنها في بعض الأحيان يصبها الضعف والانكماش تبعا للظروف التي تحيط بها .

وفي العصر الحديث مع تلك الهجمات الاستدمارية المتعددة من الدول الغربية للتجمعات العربية كانت اللغة بمكانتها وأهميتها من الأمور المستهدفة هجوما وتغريبا وإضعافا لأنها البوابة التي من خلالها يحقق الباغي المتغلب مسخ كيان المجتمعات وتشتيت وحدتها الذهنية، وإبعادها من معين ثقافتها الأصل، وهو العمل الذي جند له المستدمر الفرنسي في الجزائر الجوانب البشرية والمالية والكتب والمؤسسات التعليمية والدور الدينية التنصيرية...

كان لهذا الوضع آثار على الدولة الجزائرية بعد الاستقلال، في رسم سياستها اللغوية التعليمية والثقافية والإدارية والاقتصادية أيضا في ظل واقع سادته التعدد اللغوي، ودخلت فيه اللغة العربية قسرا في صراع لغوي جعل مكانتها متذبذبة قلقة .

2 . واقع التعددية اللغوية في الجزائر وأسبابها

1 . 2 . واقع التعدد اللغوي في الجزائر

يشير التعدد اللغوي Multilingualism إلى استعمال أكثر من لغة في دولة واحدة أو مجتمع، بل يصبح إطلاقه على الفرد الذي لديه القدرة على التحدث بعدة لغات، وهذا المفهوم بينه محمد الأوراعي في سياق تعريفه للتعدد اللغوي بأنه يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمية كالألمانية والفرنسية والإيطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا وجدت لغة عالمية مع

لغات عامية في دولة واحدة على غرار تداول اللغة العربية مع لغات الهوسا والتماشيق والتوبو في جمهورية النيجر (الأوراني ، 2002 ، ص 11).

أطلق محمد يحياتن عليه مصطلح (التعددية اللسانية) مستشهدا لها بأبحاث (فرجسون) الذي " شحذ مفهوم الثنائية اللغوية في (diglossie) في نهاية الخمسينيات، ويعني به تعايش نوعين لغويين في صلب الجماعة الواحدة، وقد أطلق على أحدهما صفة التنوع الرفيع (variété haut) أو (high variety) ، أما الثاني فيسميه التنوع الوضيع (low variety) . (يحياتن ، 2006 ، ص 73) .

يلاحظ من هذا البسط التمهيدي أن التعددية اللغوية تستدعي مصطلحات متداخلة على غرار الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية الرغم من الفروق المفهومية الدقيقة بينها .

وقسم بعض الباحثين التعدد اللغوي إلى قسمين : تعدد لغوي اجتماعي وآخر دستوري، فأما الأول فهو متفش في طبقات المجتمع دون إقرار دستوري أو حكومي، وإنما ينتج من خلال احتكاك أفراد المجتمع مع شعوب أخرى مختلفة عنه في اللغة نتيجة الهجرات أو الاستعمار أو عوامل أخرى، وأما التعدد الدستوري فهو الذي تقره الدولة في دستورها على إقرار كندا وسويسرا بالتعدد اللغوي في الوثائق الرسمية والتعاملات الإدارية . (رقيعه ، 2017 ، ص 183) .

تتجلى التعددية اللغوية في الجزائر من خلال وجود تمثلات لغوية عديدة في المجتمع الجزائري، قسمها صالح بلعيد إلى أربعة، وهي (بلعيد ، 1998 ، ص 238) :

- لغة المنشأ (عربية دارجة أو أمازيغية) وفي كليهما تأدييات متعددة، تختلف من منطقة إلى أخرى

- العربية الفصيحة (لغة المدرسة) .

- الفرنسية (لغة المدرسة) .

- الهجين اللغوي الذي يسمع في التجمعات السكانية .

ذهب رقيعه إلى أن التعددية اللغوية في الجزائر تجلت في مظهرين: أما المظهر الأول فتأتى من الثنائية بين اللغة العربية الفصيحة مع اللغات الأجنبية الأخرى كالفرنسية والإنجليزية والإسبانية وغيرها، وأما المظهر الآخر فتكون من وجود اللغة العربية الفصيحة مع عامياتها المختلفة في الاستعمال (رقيعه ، 2017 ، ص 191) .

يشير المنظور الاجتماعي والدستوري إلى الإقرار بوجود التعدد اللغوي في الجزائر انطلاقاً من المكونات المتعددة لبنية المجتمع، أو بسبب الانفتاح السياسي والاقتصادي على دول فاعلة في الساحة العالمية، بالإضافة إلى شيوع العامية الجزائرية في التواصل بين مختلف أفراد المجتمع، مع وجود الأمازيغية في بعض مناطق الوطن مع تنوعاتها (التارقية - المزابية - القبائلية - الشاوية - تقرقرنت ...) .

2.2 . أسباب التعدد اللغوي في الجزائر:

للتعدد اللغوي في الجزائر أسباب وعوامل عديدة منها :

العامل التاريخي : كان أغلب سكان المغرب والجزائر خاصة من ذوي أصول أمازيغية، ولكن بعد الفتح الإسلامي صارت اللغة مكوناً لسانياً مهماً لارتباطها بالدين الوافد والقرآن الكريم، ولذا تعايش معها السكان، وتعايشت مع لغتهم الأصلية .

العامل العسكري الاحتلالي : اتخذت الهجمات الاستدمارية المتعددة من الدول الغربية للتجمعات العربية اللغة بمكانتها وأهميتها من الأمور المستهدفة هجوماً وتغريباً وإضعافاً لأنها البوابة التي من خلالها يحقق الباغي المتغلب مسح كيان المجتمعات وتشتيت وحدتها الذهنية، وإبعادها من معين ثقافتها الأصلية، وذلك ما قامت به البرتغال وإسبانيا في دول أمريكا الجنوبية، وبريطانيا في الدول الآسيوية، وهو العمل الذي جند له المستدمر الفرنسي في الجزائر الجوانب البشرية والمالية والكتب والمؤسسات التعليمية والدور الدينية التنصيرية...

وهذا المستدمر إن لم يحقق كل أهدافه فإنه قد نال بعض النجاح من خلال جعل هياض من ضعاف النفوس والمتخاذلين في ظل العوز والافتقار يصطبغون بالثقافة الفرنسية وينتصرون لها، ويرجحون كفة لغتها وكل ارتباط بها على ثقافتهم ولغتهم، ونتج عن ذلك صراع وتعدد لغوي تجلى في شتى المجالات بعد الاستقلال .

العامل الاجتماعي : إن البنية المجتمعية في الجزائر تتميز بالتنوع ، إذ تشمل على جماعات لسانية من أصول أمازيغية وأخرى من أصول عربية تتواصل في ما بينها بعاميات متقاربة في البنية العامة، بالإضافة إلى الجماعات اللسانية الوافدة أو المتأثرة بالثقافات لأجنبية وخاصة الفرنسية بحكم الجانب التاريخي والاحتلالي والعامل النفسي أيضاً .

العامل النفسي : إذا كانت الأمازيغية وعامية اللغة العربية الفصيحة مكونات طوعية في المجتمع الجزائري، فإن الفرنسية في العصر الحديث بسطت نفوذها في الجانب التعليمي والثقافي خاصة، وفي التعامل العام اليومي في بعض المناطق وعند بعض الأفراد بسبب العامل النفسي المتأتي من الانبهار بالغاصب ولغته، أو الاتكاء على بعض الحجج والتبريرات على غرار عدم قدرة اللغات الأصلية أو اللغات الأم على نقل العلوم ، وصعوبة النطق بها . (كساس ، 2017 ، ص 175)، كما أن التزاوج بين زوجين من جنسيات مختلفة يسهم في تكوين أطفال وأجيال ثنائيي اللغة أو تعددها بسبب تحديدهم بلغة الأم والأب معا واللغات التي في محيطهم أيضا . (لهويل - حسني ، 2014 ، ص 112) .

العامل الاقتصادي : يعد الجانب الاقتصادي من أسباب التعدد اللغوي بسبب احتكاك الجزائر مع بعض الدول في الجانب التجاري، أو من خلال الشركات متعددة الجنسيات في مجال النفط والصناعات الموطنة فيها، الأمر الذي يؤدي إلى توسع بنية التعددية اللغوية من الرباعية المعهودة المتمثلة في العربية الفصيحة والأمازيغية والعامية والفرنسية إلى الإنجليزية والإسبانية والإيطالية، وإن كان ذلك على مستوى نخبوي محدود .

3 . واقع التمكين للغة العربية في الجزائر

بسطت اللغة العربية نفوذها في بلدان المغرب العربي ومنها الجزائر لعدة قرون لأسباب سياسية ودينية، ولكن الاستعمار الفرنسي عمل على طمس هوية المجتمع الجزائري من خلال التضييق على هذه اللغة المؤثرة وطمس الهوية الدينية، ووجد مجاهبات عديدة مباشرة وغير مباشرة من الحركات الوطنية وجمعية العلماء المسلمين ومدارس التعليم القرآني والعلوم الأصيلة، بيد أن التأثير الثقافي الفرنسية امتد في أطراف المجتمع بسبب طول مدة الاستعمار التي دامت 132 سنة، وفرض المستعمر لقوانين وتعليمات تحد من انتشار اللغة العربية، ومنها :

حظر استعمال اللغة العربية في المجال الرسمي، إذ لا تقبل إلا الوثائق المكتوبة باللغة الفرنسية، وشمل ذلك أسماء المحلات والأماكن العامة، والتوقيع على الوثائق، فصار الفرد المتعلم بالعربية في درجة موازية للأُمِّي .

عدم السماح للأهالي بتأسيس المدارس والمعاهد الخاصة التي تعتمد اللغة العربية في التعليم، وإن كانت من أموالهم الخاصة، كما اشترطت إتقان اللغة الفرنسية على الهيئات التدريسية العربية، من أجل الحصول على تراخيص التدريس (زيتوني، 2013 ، ص 2159 – 2160) .

إن آثار هذه الوضعية لم تنحصر في مرحلة الاحتلال فحسب، بل بقيت إلى ما بعد الاستقلال وبدء معركة البناء ووضع السياسة والتخطيط اللغوي للعملية التربوية والتعليمية، وإنشاء المؤسسات والهيئات الإدارية، إذ ظهر نقاش محموم بين أنصار اللغة العربية والمنهريين بتركة الثقافة الفرنسية ولغتها .

إن الحس الثوري والرغبة الجماهيرية في الانفصال عن كل ارتباط بالمستعمر الفرنسي جعل أصحاب السياسة يعززون اللغة العربية ودورها في الدساتير والقوانين، إذ أقرت الدساتير الجزائرية من بعد الاستقلال إلى يومنا هذا في مادة صلبة بأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة الجزائرية، كما دعت الخطابات الرسمية النظرية للسياسيين إلى تعميم اللغة العربية وترسيمها .

وتعزز هذا الجاني الدستوري الذي يدعو للمتكمين للغة العربية بمواثيق وقرارات عديدة من أهل العمل السياسي والحكومي، منها :

- جاء في خطاب الرئيس أحمد بن بلة بعد الاستقلال مباشرة العزم على أن اللغة العربية ستكون لغة التعليم بجانب اللغة الفرنسية في المدارس الابتدائية، واتخذت وزارة التعليم الابتدائي والثانوي في الدخول المدرسي في أكتوبر 1962 قرارا يقضي بإدخال اللغة العربية في جميع المؤسسات التابعة لها بنسبة سبع ساعات في الأسبوع، كما تقرر تعريب السنة الأولى ابتدائي تعريبا كاملا في الدخول المدرسي 1964 - 1965 (عاشور - بحة ، 2021 ، ص 1627).

- ميثاق 16 إلى 21 أبريل 1964 م : هذا الميثاق من مخرجات المؤتمر الأول لجهة التحرير الوطني، وقد أكد على أهمية إعطاء اللغة العربية مكانتها في مؤسسات الدولة، والتأكيد على استرجاع مقومات الهوية الوطنية، وبحكم أن المؤتمر قريب من الاستقلال فقد كان هناك تحمس كبير لهذا الموضوع .

- شهد عهد الرئيس هواري بومدين تأكيدا على منح اللغة العربية مكانتها في المناهج التعليمية، وتعزيز خطوة تعريب السنة الأولى ابتدائي، وفي سنة 1967 طبق القرار القاضي بتعريب السنة الثانية ابتدائي تعريبا كاملا . (عاشور - بحة ، 2021 ، ص 1629).

- ميثاق مؤتمر 27 - 31 يناير 1975 م : ناقش حزب جبهة التحرير الوطني في مؤتمره الرابع عدة مسائل وطنية لمواصلة المبادئ المعلن عنها في الدساتير والمواثيق السابقة، ومن أبرز مخرجاته استخدام طابع تعميم استعمال اللغة العربية عوض التعريب (عاشور - بحة ، 2021 ، ص 1633).

- الميثاق الوطني 5 جويلية 1976 م : بلور هذا الميثاق اهتمامات الجماهير والتحولت الجديدة للجزائر، وقد تحدث عن اللغة العربية لكونها محطة مهمة في السياق الثقافي، وأكد أن الخيار بين اللغة الوطنية ولغة أجنبية أمر غير وارد البتة، ودم إمكانية إجراء نقاش حول التعريب إلا فيما يتعلق بالوسائل والمناهج والمراحل (جرادى ، 2017 ، ص 12).
- في 27 ديسمبر 1990 م أصدر المجلس الشعبي الوطني قانون تعميم استعمال اللغة العربية في الجزائر، ولكنه جُمِد بإصدار مشروع تشريعي قضى بتجميد قانون تعميم استعمال اللغة العربية في 04 جويلية 1992 (ناعوس ، 2014 ، 04).
- من 1993 إلى 2008 م : شهد موضوع تعميم استعمال اللغة العربية حالة من عدم الاهتمام السياسي إثر دخول الجزائر في أزمت سياسية حادة رافقتها استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد وتعاقب بعده محمد بوضياف ثم علي كافي (عاشور - بحة ، 2021 ، ص 1634)، وبقي هذا الحال في فترة عبد العزيز بوتفليقة التي لم يثر فيها الموضوع بصورة رسمية ميدانية، وإنما ترك الموضوع دون إشراف واضح مما جعل أنصار كل فريق يدعمون وجهة نظرهم، وفي هذه الحالات المفتوحة يجد أنصار اللغة الفرنسية ملاذا هادئا للتمكين لرؤيتهم بحكم توغلمهم في المؤسسات والإدارات .
- منذ 2020 إلى يومنا هذا : شهد عهد الرئيس عبد المجيد تبون تحريك هذا الموضوع من خلال الدعوة إلى التمكين للغة العربية في المستوى السياسي والحكومي، بالنظر إلى وجود نقاش حاد يخص الذاكرة والعلاقة مع فرنسا في الوقت الحالي، تجلى ذلك في دعوة المسؤولين إلى التحدث باللغة العربية الفصيحة في عرض المشاريع، كما أصدرت بعض الوزارات تعليمات تدعو إلى استعمال اللغة العربية في الوثائق التي تخص وزاراتهم على غرار وزارة التجارة والشباب والرياضة، كما أصدر الرئيس قرارا ببعث المجمع الجزائري للغة العربية الذي قرر إنشاء الرئيس بوتفليقة من خلال تعيين عبد الرحمن الحاج صالح رئيسا له، ولكن لم يشهد المجمع نشاطا كبيرا، وبقيت رئاسته شاغرة بعد وفاة رئيسه إلى أن عين الرئيس تبون الشريف مربيقي رئيسا له في يناير 2023 .
- هذه بعض المحطات المهمة التي يتجلى من خلالها وضع اللغة العربية على المستوى الرسمي، وننوه إلى أننا لم نرم العرض التاريخي فذلك يحتاج إلى دراسة مستفيضة .
- ظهرت آثار القوانين والمواثيق والدعوة إلى تعميم استعمال اللغة العربية في عدة مجالات، منها :
- استهداف التعليم بالتعريب لأنه هو الرافد الأساسي لهذه الخطوة، ولما فيه من رسالة قوية لعودة الدولة إلى أصولها بعد الاستقلال .

- سعي بعض الوزارات والمؤسسات الحكومية إلى تعريب وثائقها الرسمية على غرار وزارة الفلاحة .
- القيام بتعريب الوثائق الإدارية التي لها علاقة بالمواطن العادي في البلديات ومؤسسات الضمان الاجتماعي وفاتورات الماء والكهرباء .

- تعزيز الصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية بمؤسسات معربة، على ما يكتسي ذلك من ضعف في الاستعمال وهنات منهجية، غير أنها خطوات مهمة في هذا الشأن .

- العمل على كتابة لافتات المؤسسات العمومية والصناعية والمحلات ولافتات الطريق باللغة العربية وحدها أو مع اللغة الفرنسية والأمازيغية في كثير من مناطق الجزائر .

- كتابة مكونات المواد الغذائية على المنتجات باللغة العربية .

ونستنتج من هذه المحطات والمواثيق ما يأتي :

- إن موضوع التمكين للغة العربية ارتبط بالنزعة الثورية، والخروج من ربة الاستعمار الفرنسي وثقافته .

- تعززت الدعوة إلى تعميم استعمال اللغة العربية في المؤسسات الرسمية والتعليم بقوانين دستورية ومواثيق تؤكد الأهمية الكبيرة له لأنه أساس من أسس استرجاع الهوية، وترسيخ المبادئ الوطنية .

- تبين المواثيق والأحداث التاريخية أن هناك نقاشا حادا حول تعميم استعمال اللغة العربية وجدواها بين المنافحين عنه والرافضين له .

وعلى الرغم من هذه المواد القانونية المعززة لدور اللغة العربية في الجزائر فإنها مازالت تحت ضغط واسع من أنصار اللغة الفرنسية وثقافتها المتمكنين من دواليب الوزارات والمؤسسات الفاعلة التي مازالت تفضل النظم الفرنسية على أي بدائل أخرى، وتمنحها صفة الحدائة والتقدم، وهذا الوضع أدى إلى ذلك الصراع اللغوي بين اللغتين وثقافتهما.

4 . مظاهر صراع اللغة العربية في الجزائر في ضوء التعددية اللغوية

4 . 1 . مفهوم الصراع اللغوي وأسبابه

يدل مصطلح (الصراع اللغوي) على النزاع والاحتكاك الذي ينشب بين اللغات فينتج عنه تأثير وتأثير بينها يتجلى في الألفاظ والأساليب، وقد يؤدي هذا الصراع بين اللغات إلى انتصارها أو انكسارها الجزئي، أو الكلي الشامل الذي قد يوصل بعضها إلى الموت والاندثار (هادي، 1988 ، ص 127) .

وللصراع اللغوي أسباب من أبرزها (بن عمار، ص 38 – 40) :

- نزوح عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهل البلد إثر فتح أو حرب أو استعمار أو هجرة،
فتشتبك اللغتان في صراع طوعي ينتهي بانتصار إحداهما على الأخرى وتصير اللغة الغالبة لغة السكان
دخيلهم وأصيلهم، وإما أن تتعايش اللغتان دون تقوى إحداهما على الأخرى .
- وجود علاقات تجارية وثقافية واجتماعية بين شعبين مختلفي اللغة، فيحصل تبادل المنافع
والاحتكاك بين الأفراد .

- من أسباب الصراع التعليم باللغات الأجنبية، والإنقاص من قيمة اللغات الوطنية، إضافة إلى
الإعلام المحلي الناطق باللغات غير الوطنية قد يسبب في تفعيل حركة الصراع، خاصة إذا انتهاجه
مبينا على استلاب وانهار مشوب بالتقليل من لغة الدولة .

تجدد الإشارة إلى أن الصراع بين اللغات لا يقتصر على تأثر المغلوب بالغالب فقط، بل هو متبادل
بينهم، كما أن العامل العاطفي في نظر رمضان عبد التواب يجعل المتكلمين يتمسكون بها ، ويحافظون
على سلامة لغاتهم وبقائها وإن كانوا في حالة ضعف أو احتلال، ولذلك لم يتمكن الترك في الشرق من
بسط اللغة التركية وإحلالها محل اللغة العربية (عبد التواب ، 1997 ، ص 172) .

2.4 . مظاهر الصراع اللغوي في الجزائر

1.2.4 . الصراع بين اللغة العربية والفرنسية

على الرغم من العامل الديني والعاطفي تجاه اللغة العربية، والنصوص الرسمية التي تعزز مكانتها
في مجالات الحياة، وتدعو إلى تعميم استعمالها الذي تجلت آثاره في بعض القطاعات والمؤسسات
العمومية غير أن الواقع الفعلي يبين وجود نظرة احتقار للغة العربية الفصيحة في بيئتها ، إذ يتعامل
معها في بعض الأوساط العلمية والإدارية والمؤسسية على أنها لغة أجنبية لا يتم استخدامها في أبسط
الأمر الحياتية، واستبدلت باللغة الفرنسية التي أُتيح لها من مناصري التغريب والفرنسة لتكون
مهيمنة على " لغة الصناعة والإدارة والمؤسسات الاقتصادية، كما أن فشل تعريب الجامعة الجزائرية
واقصارتها على معاهد العلوم الإنسانية أكثر، بمقابل بقاء اللغة الفرنسية لغة التدريس في الكثير من
المعاهد، أسهم في الهيمنة اللغوية للفرنسية" (لهويمل – حسني ، 2014 ، ص 115) .

ولم يقتصر تأثير اللغة الفرنسية على اللغة الفصيحة وإزاحتها من المشهد الرسمي الفاعل، بل إن
تأثيرها وتوسعها مس الحديث الشفهي العامي للجزائريين الذي يتضمن عدة ألفاظ فرنسية تقحم
إقحاما حتى صار استدعاؤها أسرع من اللفظ الفصيح على غرار:

remarquer-programmer-contacter-délibérer-préparer-découvrir-analyser - Remarquer-
copier-vérifier-préparer-participer-soutenir
. découvri - consulter .

من الأسباب التي جعلت اللغة الفرنسية تتحلى بهذه المنزلة في مقابل اللغة العربية الفصيحة في
الجزائر نذكر:

- الصراع الخفي والمعلن بين أنصار التعريب وأنصار الفرنسية على المستوى الرسمي الذي كان
مسببا في عرقلة التعريب وتعميم استعمال اللغة العربية في حين أن الفرنسية التي تمثل التركة
الاستعمارية في التعليم والإدارة كانت لها قاعدة وجدت السبيل للتمدد مستغلة وضع الصراع الذي
منع التعريب من الانطلاق السريع المنشود .

- الخطاب الرسمي الفعلي الذي همش اللغة الرسمية الوطنية، وجعل من اللغة الفرنسية اللغة
الرسمية دون ترسيم .

- إصاق الفشل المنهجي للتعليم المعرب باللغة العربية وأصولها وتعمده في المناهج والمقررات،
والسعي إلى الإقناع بأن اللغة الفرنسية هي لغة الحداثة والتقدم، وقد وجدت هذه الدعاوى التأييد
الرسمي والنخبوي أيضا .

- عدم تخلي الأطر المفرنسة عن هذه اللغة وخاصة الأطر الفرانكفونية والفرانكوفيلية التي توغلت
في دواليب القرار والحكم، وكان بيدها تحريك دواليب القوانين أو توجيهها إلى المسار الخاطئ أو التجميد
(بلعيد ، 1998 ، ص 243) .

مازالت هذه الأطر المفرنسة إلى يومنا هذا تسعى بكل ما أوتيت من قوة ومكنة التشويش على
مسارات تعميم استعمال اللغة العربية في الإدارات والمؤسسات والتعليم في الجزائر، فهي إن رضخت
للممكنين للغة الوطنية في بعض القطاعات والمجالات مرغمة فإنها تقاوم ألا يشمل التعريب بعض
المجالات العلمية والصناعية والإعلامية من خلال التعطيل، ونسج التبريرات السلبية له، ويستند
بعضهم في ذلك إلى ولاءات خارجية لمنظمات ودول ترى أن بقاء الفرنسية في الجزائر مكسبا لا يمكن
التنازل عليه لما فيه من عوائد حكمية في السياسة والاقتصاد والثقافة وغيرها .

4 . 2 . 2 . الصراع بين اللغة العربية والعامية

من مظاهر الصراع اللغوي في الجزائر وفي الدول العربية عامة ازدواجية اللغة العربية الرسمية الوطنية وعامياتها، وتعد هذه الازدواجية أكثر انتشارا في المجتمع الجزائري، إذ تشمل المناطق ذات الأصول الأمازيغية أيضا التي يتقن كثير من أهلها عامية العربية إلى جانب لغتهم الأم .

على الرغم من أن أثر الصراع بين اللغة العربية وعامياتها ليس له الأثر الكبير والعميق كما للصراع بين العربية والفرنسية غير أن لديه أثارا سلبية تتجلى في تلك الهيمنة الواسعة للعامية في الشارع وفي المؤسسات والقطاعات التي تبنت التعريب على غرار التربية والتعليم، والإعلام والاتصال والإشهار، إذ بقي استعمال الفصيحة محدودا على الوثائق المكتوبة مع كثرة الأخطاء اللغوية فيها، وأما التوظيف الشفهي التواصلي فملكته سلطانه العاميات .

يعد مجال التعليم والإعلام والاتصال من المجالات التي غزتها العامية في التواصل والتعامل، ومن أسباب انتشارها في التعليم أنها صارت تمثل اللغة الأم للطفل الجزائري في أغلب المناطق، فهي اللغة التي يأخذها من محيطه الأسري والمجتمعي، وعندما يلتحق بالمدرسة يجد لغة أخرى تختلف بقوانينها واستعمالاتها عن العامية التي يستعملها خارج المدرسة ويتواصل كثير من المعلمين بها مع المتعلمين، ولا يقتصر الوضع على المتعلمين في الأطوار الأولى فحسب بل يصل إلى الجامعات لتبني التخصصات العلمية اللغة الفرنسية في التدريس، ويضطرون إلى الشرح بمزيج بين الفرنسية والعامية، وفي تخصصات العلوم الإنسانية والآداب التي تبنت اللغة العربية نلمح حضورا كبيرا للعامية في التدريس والتواصل العام أيضا (زيتوني، 2013 ، ص 2162 – 2163).

إن للإعلام دورا مهما في التثقيف والترويج لخيارات الدولة في السياسة والتخطيط اللغوي التي تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية غير أننا نلمحها ضحية لخيارات لسانية تميل إلى الفرنسية والتعريب في بعض الوسائل، وتميل الوسائل الإعلامية المعربة إلى العاميات، ويتجلى ذلك في ما يأتي :

- إهمال وسائل الإعلام للمعجم الفصيح في أشهر مساحاتها الإعلامية انتشارا بين الناس .
- تكريس العامية في الخطابات الخاصة بالإعلانات والومضات الإشهارية .
- العمل على برمجة حصص خاصة بالأطفال توظف الألفاظ العامية، وهم في فترة يفترض أن يرثوا فيها لغة سليمة .

- قلة تخصيص برامج جادة تهتم بترقية المكتسب اللغوي الفصيح وتوضيح أهميته للناشئة (بن موسى، 2010 ، ص 242 – 243) .

- كثرة الانحراف والتصحيف في لغة الإعلام الجزائري مشافهة وكتابة، والتقليل من أهمية المدققين اللغويين في هذا المجال .

يزيد تهديد العاميات للغة العربية الفصحى في الجزائر في أنها أُتخذت ذراعا من الفرانكفونيين في التشويش على تعميم استعمال اللغة العربية وتحريك عجلته من خلال استغلال تنوع أداءات العامية في الشمال والجنوب والشرق والعرب في ضرب لحمة النسيج الاجتماعي ولفت الأنظار إلى قضايا فرعية تلهي عن الغاية الأساسية، بالإضافة إلى إشاعة الألفاظ الفرنسية في العامية الجزائرية من خلال الاستعمال والتداول الإعلامي، ومن الأمثلة عليها (تريستي - الفاليزة - الفارماسيان - فرشيطة - طابله - كاميو - ستيلو - باطيما - سبيطار- تيبانا - سمانه - لامبه - المرشي.....) . (بن موسى، 2010 ، ص 246 – 249) .

تعد العامية نمطا شائعا في الوسط الجزائري الرسمي والمؤسسي والمجتمعي لما فيها من سهولة وبساطة وقدرة على التواصل مع كل أطراف المجتمع الجزائري، وبسبب التمكين لها في التعليم والإعلام والإدارة وغيرها من المجالات، ومن نتائج ذلك الوضع ضعف التمكين الفعلي للغة العربية، وحماية المجتمع من التفتت والتشتت اللغوي الذي قد يستغل لسانيا وسياسيا واجتماعيا أيضا .

4 . 2 . 3 . الصراع بين اللغة العربية والأمازيغية

تعد اللغة الأمازيغية بأدائها (القبائلية - الشاوية - التارقية - الميزابية - الشلحية - تقرقرنت) مكونا من مكونات التركيبة المجتمعية في الجزائر باعتبار الأمازيغيين السكان الأصليين للمنطقة، ونظرا لانتشار اللغة العربية لغة الفاتحين وأسباب أخرى صارت اللغات الأمازيغية طرفا في معركة الهوية الوطنية والصراع اللغوي بين اللغة النخب المعربة والنخب المفرنسة، إذ أسهمت هذه القضية بشكل أو بآخر في تطعيم المسألة اللغوية والزيادة من تعقيدها (العوينة - معاشو، 2018 ، ص 150) .

حاول الاستعمار الفرنسي إثارة المسألة اللغة الأمازيغية في 1949 واستغلالها من خلال إثارة البعد الأمازيغي في الشخصية الجزائرية لأغراض تفريقية واحتلالية، ولكن وحدة الحركة الوطنية وتركيز جهودها في محاربة الاستعمار واسترجاع السيادة أفضل مساعيها، ولكن بعد الاستقلال بدأت معالم إحياء هذه القضية تتجلى في ظل سياسة التعريب التي وجدت القبول النظري، وتجسدت في السياسة اللغوية وترسيم اللغة العربية لغة رسمية نظرا لأسباب سياسية وثقافية وعلمية تتمثل في الرغبة القوية في استرجاع الهوية الوطنية ولأنها تستطيع جمع أطراف المجتمع، ولأنها لغة تاريخية بمعجمها

ونظامها الواضح، ولكن بعض النخب الأمازيغية رأت أن هناك استبعادا للغتها وثقافتها فسعت إلى المطالبة بذلك، ولاقت بعض المضايقات من السلطات، وتزايد النقاش إلى أن وصل إلى استخدام الشارع كورقة ضاغطة في الربيع الأمازيغي في 1980، والتصعيد الذي ظهر في مواجهات واحتجاجات على غرار الأحداث التي حصلت في 2001 و 2002، وقد أثمرت الاحتجاجات والنشاط الحزبي والسياسي في الاعتراف الرسمي بها كلغة وطنية في 2002، والاعتراف بها كلغة رسمية في 2016 (العويّنة - معاشو، 2018، ص 155 - 156).

بعد الاعتراف الرسمي باللغة الأمازيغية أثّرت بعض القضايا الجدلية التي بينت مدى الصراع والنزاع في نخبها، ولعل من أبرز تلك القضايا الخط الذي تكتب به، وانقسمت الأطروحات في هذا الشأن إلى ثلاثة:

- الكتابة بالتيفناغ: لأنه يمثل الهوية الحضارية للغة، والشخصية الذاتية للشعب.
- الكتابة بالخط اللاتيني (اللغة الفرنسية): حجة أصحاب هذا الرأي أن هذه اللغة لها الأولوية العلمية والعالمية وذات بعد تقدمي وحضاري أيضا، كما أن الخط اللاتيني يعد الخط الذي كتبت به الكثير من المصادر والمراجع المتعلقة بالأمازيغية.
- الكتابة بالخط العربي: يحتج مناصرو هذا الرأي بأن الحروف العربية أكثر التصاقا بمخارج الأصوات الأمازيغية، فضلا عن المرجعية الدينية الإسلامية للفئة الأمازيغية التي تستوجب استعمال اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم وكتب المرجعية الإسلامية (العويّنة - معاشو، 2018، ص 158 - 159).

نخلص مما سلف ذكره إلى بعض الملاحظات:

- إن الاعتراف الرسمي باللغة الأمازيغية باعتبارها مكونا من مكونات البنية المجتمعية في الجزائر لا يعد مشكلة في حد ذاته، وليس سببا مباشرا في معادلة الصراع اللغوي مع اللغة العربية، فقد تعايشت اللغتان قرونا من الزمن لارتباط اللغة الوافدة بالهوية الدينية.
- أخذ نقاش الاعتراف باللغة الأمازيغية مسارا إيديولوجيا أقحمت فيه بعض النخب اللغة العربية في النقاش من خلال رؤية تاريخية موجهة ينبغي أن تعطى المكانة التي لها للغات السكان الأصليين على الرغم من الفوارق الموضوعية والعلمية بين اللغتين.
- كشفت الأطروحات المتعلقة بالخط الذي تكتب به هذه اللغة الجدل الإيديولوجي والصراع المتأزم، إذ على الرغم من أن اللغة العربية أقرب من غيرها بحكم التعايش والهوية الدينية وقدرة

أطراف كبيرة من المجتمع الأمازيغي على التواصل بها أو فهمها على الأقل في ما بينهم أو مع مكونات المجتمع الأخرى، ولكن رجحت النخبة المتمكنة في دوايب السياسة والقرار اختيار الحرف اللاتيني واللغة الفرنسية بمبررات تحتاج إلى نقاش، بالإضافة إلى أن هذا الاختيار لم تعود ثماره على اللغة الأمازيغية بل على اللغة الفرنسية التي منح هذا التأييد لتزيد هيمنتها على النشاط الرسمي والحيوي في الجزائر .

- استُغلت هذه القضية استثمارا داخليا وخارجيا في عملية تثبيط مسار التعريب وتجميده أحيانا، بل تم استخدامها في إثارة النزعات الجبهوية أيضا .

- إن اللغة الأمازيغية بينيتها اللسانية وتأخرها في التدوين ونسبة تمثيلها للفئة المتحدثة بها في المجتمع، ومسيرة تدريسها في المؤسسات التعليمية لا تشكل تهديدا مباشرا لمكانة اللغة العربية في الوسط المجتمعي والرسمي أيضا، ولكن خصائصها التاريخية والسياسية والمجتمعية جعلت منها عنصرا مؤثرا في الصراع اللغوي والهوياتي في الجزائر .

إن مسار التعايش الإيجابي بين اللغتين هو الخيار الذي من شأنه ألا يمس تمدد اللغة العربية والرغبة النظرية الرسمية في تعميمها للأسباب المذكورة سلفا، ولا يمنع ذلك اللغة الأمازيغية وثقافتها من تقبيل من هذه اللغة وتزيد من رصيدها اللغوي، وتتمكن من البناء العلمي لأنظمتها الكتابية والصوتية والصرفية والتركيبية والثقافية في مؤسسة أكاديمية وطنية تسهم في الحد من التشتيت اللغوي في الجزائر .

5 . سبل التمكين للغة العربية في الجزائر

إن التعدد اللغوي في الجزائر ظاهرة فرضت نفسها لأسباب عديدة منها تنوع بنية المجتمع، بالإضافة إلى آثار الاحتلال العسكري الفرنسي، وانفتاح الدولة على ثقافات عديدة، ولكن هذه الوضعية لا تؤدي إلى الاستهانة بالمكون اللغوي الرسمي المتمثل في اللغة العربية، بل لابد من وضع أسس فعلية للتمكين للغة العربية الفصيحة في التخطيط اللغوي المستقبلي، ومنها :

- تفعيل دور المؤسسات العلمية والمجتمعية والجامعية (المجلس الأعلى للغة العربية ، المجمع الجزائري للغة العربية – مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية) التي تعنى باللغة العربية من خلال تميم نتائج أبحاثها ميدانيا .

- تشجيع الجمعيات والمنظمات المدنية والنقابية والأحزاب السياسية على استعمال اللغة العربية الفصيحة في الاجتماعات والندوات واللقاءات .
 - حمل اللغة العربية على التطور والتجديد بالاعتماد على إمكانياتها وخصائصها، والتركيز على وسائل تنمية رصيدها من ترجمة وتعريب ونحت واشتقاق، وغيرها .
 - سنُّ منظومة قانونية قطاعية تلزم استعمال هذه اللغة في المجالات التعليمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية .
 - العمل على تكوين الناطقين باللغة الفرنسية تدريجيا في اللغة العربية الفصيحة البسيطة للتوصل، وكتابة الوثائق الإدارية بها .
 - وضع سياسية لغوية تعمل على تعميم استعمال اللغة العربية في المجالات التي مازالت اللغة الفرنسية والعامية مسيطرة عليها على غرار التخصصات العلمية في الجامعات قطاع الصناعة والإعلام .
 - إنشاء مراكز للترجمة من العربية إليها وفق تخطيط محكم في اختيار المترجمين وتشجيعهم.
 - دعم النشر الإلكتروني في المواقع والمدونات الشخصية والتخصصية في سائر المجالات.
 - الاستفادة من جهود المؤسسات الوطنية العربية في توحيد المصطلح العلمي لإشاعته استعماليا وإعلاميا وعمليا .
 - العمل على دعم البحوث والمشاريع التي تعمل على العلاج الآلي للغة العربية، وترقية نظمها لتسهيل حوسبتها (زيتوني، 2013 ، ص 2171 – 2174).
 - ترقية استعمال اللغة العربية في الاستعمال الحاسوبي الاقتصادي الذي يتيح لها أن تكون طرفا فاعلا في المنافسة اللسانية العالمية والعولمية، وألا تبقى طرفا متأثرا متبعا فحسب .
- هذه بعض الأسس التي من شأنها التمكين الفعلي للغة العربية الفصيحة في الجزائر لأنها الجامع اللغوي الذي بإمكانه تحقيق تنمية شاملة في ميادين التعليم والإعلام والثقافة والعلوم والصناعات والحاسوبيات، ولكن هذا المبتغى لا يتم إلا بالتعامل النفعي مع التعدد اللغوي، وبذل جهود حثيثة في تعميم استعمال اللغة استعمالا منتجا مثمرا في شتى الميادين.

خاتمة :

في نهاية هذا البحث نستخلص أهم النتائج :

- اتسم الوضع اللغوي في الجزائر بتعدد لغوي غير رسمي تمثل في اللغة العربية الفصحى والأمازيغية بأدائها المتنوعة، واللغة الفرنسية، وعاميات العربية الفصحى أيضا .
- عمل الخطاب الرسمي بعد الاستقلال على التمكين للغة العربية الفصحى دستوريا وقانونيا، ولكن الواقع الفعلي شهد ترددا وتحجيما للموضوع، مع الإقرار بوجود قطاعات عديدة اتخذت من التعريب مسلكا فعليا على غرار التربية والتعليم والفلاحة، ومصالح الداخلية .
- يعد الصراع بين اللغة العربية والفرنسية من أشد الأنواع وأضرها لارتباطها بإيديولوجيات وثقافة للمناصرين لكل لغة وثقافة، إذ يرى أنصار التعريب فيه الوسيلة التي يتم فيه قطع الأوصال مع الاستعمار، والعودة للهوية الوطنية الأصيلة، بينما يرى أنصار الفرنسية أنها لغة الحضارة والتقدم والحداثة .
- من مظاهر الصراع اللغوي في الجزائر الصراع بين اللغة العربية والعاميات التي تعرف انتشارا كبيرا في مفاصل المجتمع والمؤسسات التعليمية والأكاديمية والإدارية .
- أفضحت اللغة العربية في صراع مع اللغة الأمازيغية على الرغم من تعايشهما لقرون، والاختلافات الموضوعية بينهما أيضا .
- استغل أنصار التعريب والفرنسة الصراع بين العاميات والأمازيغية في خدمة مشروعهم، وعرقلة عملية تعميم استعمال اللغة العربية أو تجميدها، وزرع بذور اليأس من جدواها أيضا .
- يحتاج التمكين للغة العربية في الجزائر نية فعلية من السياسيين، ودعمها بالقوانين القطاعية العملية، وتفعيل دور المؤسسات العلمية والمجمعية والترجمية والحاسوبية والتكوينية من أجل الوصول إلى الهدف المنشود من خلال التنسيق مع المؤسسات العربية في هذا المجال من أجل لوصول إلى الهدف المنشود .

المراجع :

- الأوراغي ، محمد، (2002) ، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي ، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، المغرب .
- بلعيد ، صالح ، (1998) قرار تعميم اللغة العربية واستعمالها - رأي في التجربة الجزائرية ، ع46 ، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، المغرب .

- بن عمار، أحمد ، صراع اللغات في ضوء التفاعل الحضاري عامل من عوامل نموها، ع 16 ، مجلة دراسات أدبية ، الجزائر.
- بن موسى ، زين الدين ، (2010)، أنماط الصراع بين اللغة العربية والعاميات المعاصرة العامية الجزائرية أنموذجا ، ع 11 ، مجلة الآداب ، جامعة قسنطينة ، الجزائر.
- جرادي ، حفصة ، (2012)، رؤية لسياسة التعريب في الجزائر، ع 28 ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجزائر.
- رقيعه ، عبد الكريم ، (2017) ، التعدد اللغوي وانعكاساته في الواقع اللغوي الجزائري ، ع 12، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الوادي ، الجزائر.
- زيتوني، نصيرة ، (2013) ، واقع اللغة العربية في الجزائر، مج 27 ، ع 10 ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ، فلسطين.
- عاشور ، سهام – بحه فتحي، (2021) سياسة التعريب في الجزائر فراءة في الواقع والآفاق، مج 13 ، ع 01 ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الوادي ، الجزائر.
- عبد التواب، رمضان ، (1997) ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ط 3، مكتبة الخانجي ، القاهرة.
- العوينة بهلول – معاشو جيلاني كوبيبي ، (2018) ، اللغة الأمازيغية في الجزائر الرهانات والتحولت ، مج 4 ، ع 09 ، مجلة آفاق فكرية ، سيدي بلعباس، الجزائر.
- كساس ، صافية ، (2017) ، التعدد اللساني والتخطيط اللغوي في المجتمع العربي المغربي الأسباب والعوامل ، الآثار والعلاج ، ع 08 ، مجلة العربية ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة، الجزائر .
- لهويمل ، باديس – حسني ، نور الهدى حسني ، (2014) ، مظاهرا لتعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية ، ع 30 ، مجلة الممارسات اللغوية ، جامعة تيزي وزو ، الجزائر.
- نهرهادي ، (1988)، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ط 1 ، دار الغصون ، بيروت.
- يحي ناعوس ، (2014) ، المشروع الوطني لتعميم استعمال اللغة العربية في الجزائر، المركز الجامعي بجليزان ، الجزائر.
- يحياتن ، محمد ، (2006)، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة ، ع 11، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر.